

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ
وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [المائدة: 81]

❖ مَنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَيْنَ أَنْ مَوَالَاةَ الْكَافِرِينَ
لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ فِي شَيْءٍ لِبَيَانِ كَذِبِهِمْ فِي ادِّعَاءِ الْإِيمَانِ، وَهَذِهِ
الْوَلَايَةُ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْمَشْرِكِينَ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْ سَبَبٍ إِلَّا اتِّفَاقُ الْفَرِيقَيْنِ
عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ⁽¹⁾، فَلَمَّا كَانَتْ مَوَالَاتُهُمُ الْكَافِرِينَ دَلِيلًا
عَلَى كُفْرِهِمْ، دَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁽²⁾.

لَمَّا ذَكَرَ وَلَايَتِهِمْ
لِلْكَافِرِينَ بَيْنَ
أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ
لِخُرُوجِهِمْ مِنْ
الدِّينِ وَانْتِفَاءِ
إِيمَانِهِمْ

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فَسِقُونَ﴾: (فَسَقَ) الْفِسْقُ، وَهُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ،
وَالْأَصْلُ فِيهِ: فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ مِنْ قَشْرِهَا لَخُرُوجِهَا مِنْهَا، وَالْفَاذَةُ
سَمِّيَتْ فُوسِقَةً لَخُرُوجِهَا مِنْ جُحْرِهَا عَلَى النَّاسِ، وَالْفِسْقُ: التَّارُكُ
لَأَمْرِ اللَّهِ⁽³⁾، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ "أَيَّ خَارِجُونَ
عَنْ وِلَايَةِ اللَّهِ وَعَنِ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ"⁽⁴⁾.

الْفِسْقُ: الْخُرُوجُ
عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ
تَعَالَى وَتَرْكُ أَمْرِهِ

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا قَدْ آمَنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى وَالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ،
وَأَقْرَأُوا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَمَا تَرَكُوا وِلَايَةَ الْمُوحِدِينَ، وَاخْتَارُوا وِلَايَةَ الْمَشْرِكِينَ،
وَلَكِنْهُمْ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَتَمَرِّدُونَ عَلَى الْحَقِّ إِشْبَاعًا
لَأَهْوَائِهِمْ⁽⁵⁾. "يَعْنِي أَنَّ مَوَالَاةَ الْمَشْرِكِينَ كَفَى بِهَا دَلِيلًا عَلَى نِفَاقِهِمْ"⁽⁶⁾.

اسْتَدْلَالٌ عَلَى
نِفَاقِهِمْ، فَمَوَالَاةُ
الْمَشْرِكِينَ دَلِيلٌ
عَلَى انْتِفَاءِ
إِيمَانِهِمْ

(1) الهري، حدائق الروح والريحان: 7/432.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/267.

(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (فسق).

(4) الشوكاني، فتح القدير: 2/76.

(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2322، ولجنة من علماء التفسير، التفسير لليسر: 1/121.

(6) الزمخشري، الكشاف: 1/667.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الشرط بـ (لو)

يدلّ الشرط بـ
(لو) على انتفاء
فعل الشرط،
وهو الإيمان

قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ عبر عن انتفاء إيمانهم بـ (لو) الشرطيّة التي تدلّ على عقد السببيّة والمسببية بين الجملتين بعدها، للدلالة على امتناع الشرط⁽¹⁾، فلما انتفى الإيمان اتّخذوهم أولياء.

علّة كون الإيمان بالنبي والقرآن يمنع من موالاة الكافرين:

لورود التّهي
بالقرآن
والسنّة، فلو
وجد الإيمان
لتحقق الالتزام
بالنّهي

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ قرّر أنّ الإيمان بالنبي ﷺ والقرآن الكريم يمنع من موالاة الكافرين؛ "لأنّ النبي نهى المؤمنين عن موالاة المشركين، والقرآن نهى عن ذلك في غير ما آية. وقد تقدّم في قوله: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)"⁽²⁾.

التعبير بالماضي والمضارع:

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ جاء الشرط بـ (لو) ليفيد تقييد الجملة الشرطيّة بالزّمن الماضي⁽³⁾، وقد جاء في الآية الفعل الماضي مقترناً بالمضارع للدلالة على انتفاء استمرار إيمانهم وتجدد.

السّرّ في جعل الموالاة دليلاً على الكفر:

الموالاة دليل على
الودّ والاشتراك
بالحال، وعلى
المطابقة في
الاعتقاد

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ عبر عن أنّ موالاتهم تدلّ على كفرهم؛ "لأنّ مخالفة الاعتقاد تمنع الوداد"⁽⁴⁾. فالموالاة تدلّ على الودّ والرّضى بحالهم واشتراكهم فيه.

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 337، 340.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/295.

(3) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 337.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 6/267.

دلالة انتفاء الإيمان عن اتّخاذهم أولياء:

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ "جعل الإيمان ملزوماً لعدم اتّخاذهم أولياء، فدلّ على أن موالاة الكافر كفر"⁽¹⁾. فَمَنْ "اتَّخَذَ كَافِرًا وَلِيًّا فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ إِذَا اعتَقَدَ اعتِقَادَهُ وَرَضِيَ أفعَالَهُ"⁽²⁾. و"لَوْ آمَنُوا حَقَّ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالرُّسُلِ وَالْفِرْقَانِ لَمَا ارتكَبُوا مَا ارتكَبُوهُ مِنْ مَّوَالَاةِ الْكَافِرِينَ فِي الْبَاطِنِ، وَمُعَادَاةِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ"⁽³⁾.

السّر في التعبير بالجملة الشرطيّة:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ جاء التعبير عن نفي إيمانهم بالجملة الشرطيّة للدلالة على ذلك "بِطَرِيقَةِ الْقِيَاسِ الْإِسْتِثْنَائِيِّ، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ فَمَوَالَاتُهُمْ لَهُمْ عَلَامَةٌ عَلَى عَدَمِ الإِيمَانِ بِهِ"⁽⁴⁾، فعبر الجملة الشرطيّة المصدرّة بـ (لو) لما فيها من الدلالة على الاستدلال، والاستدلال مستفاد من أنّه علّق شيئاً بشيء، فاستدلّ على أمر خفيّ، وهو (انتفاء إيمانهم) بأمر مشاهد وهو اتّخاذهم الكافرين أولياء، فنفي الإيمان بالنظر إلى سلوكهم المشاهد، وفائدة ذلك تأكيد مضمون الجملة.

السّر في التعبير عن الموالاة بالاتّخاذ:

في قوله ﷺ: ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ عبر عن موالاتهم المشركين بالاتّخاذ، أي اتّخذوا المشركين مجتهدين في ذلك⁽⁵⁾. ولم يقل: (ما والوهم) لأنّ الاتّخاذ فيه اجتهاد ورغبة وقصد، فعبر به للنص على قصديّتهم في ذلك، ورغبتهم فيه، لينفي أيّ حجة قد تدعى

دل على أن
شرط الإيمان
عدم موالاة
الكافرين، فإنها
كفر

عبر عن انتفاء
إيمانهم
بالجملة
الشرطيّة،
تأكيداً لنفي
إيمانهم بذكره
على وجه
الاستدلال،
بتعليقه بأمر
مشاهد وهو
موالاة الكافرين

الاتّخاذ أبلغ في
الدلالة على قوّة
الولاء، إذ يبيّن
أنّهم اجتهدوا في
ذلك وقصدوه

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/121، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 241.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/254.

(3) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/413، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/165.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/295.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 6/267.

كالاضطراب وغيره، فهم قد تولوهم قصداً ورغبة ونفوراً من الإيمان لاتحادهم في ذلك الاعتقاد.

فائدة الاستدراك:

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ جملة مستأنفة بيّناً "لحالهم، وسبب تركهم موالاة المؤمنين، فذكر أنّ كثيراً منهم خارجون متمردون على الحقّ بسبب ما في قلوبهم من حقد وحسد" (1).

استدراك لبيان
سبب موالاتهم
الكافرين

علة نسبة الفسق للأكثر دون الجميع:

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ ولم يقل: (ولكنهم فاسقون) فخصّ "الكثير منهم بالفسق؛ إذ فيهم قليل قد آمن" (2)، ولأنّ تعالى بعلمه الغيب علم أنّ بعضهم سيؤمنون (3)، وفي الوصف بالأكثرية دون الجميع "نرى إنصاف القرآن بيّناً واضحاً؛ إذ لم يرمهم جميعاً بالفسوق عن أمره" (4).

نسب الفسق
لأكثرهم لأنّ
بعضهم قد آمن

وضع الظاهر موضع المضمّر:

قوله ﷺ: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ وضع الظاهر موضع المضمّر فلم يقل: (ولكنهم فاسقون)؛ لتقدّمه في الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ فلما طال الكلام أعاده (5). والمُخْبِرُ عَنْهُ أَوَّلًا هُوَ الْكَثِيرُ، وَالضَّمَائِرُ بَعْدَهُ لَهُ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى. وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ الْكَثِيرِ. وَلَكِنَّهُ لَمَّا طَالَ أُعِيدَ بِلَفْظِهِ (6). "فَقَدْ أُعِيدَتِ النَّكْرَةُ نَكْرَةً وَهِيَ عَيْنُ الْأَوَّلَى" (7).

كرّر اللفظ ولم
يضمّر لطول
الفاصل، زيادة
في البيان

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2322.

(2) ابن عطية، لبحر الوجيز: 2/225، وأبو حيان، البحر المحيط: 4/340.

(3) الهرري، حقائق الروح والريحان: 7/432.

(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2322.

(5) السيوطي، قطف الأزهار: 2/824.

(6) أبو حيان، البحر المحيط: 4/340، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 7/473.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/296.

إيثار التعبير بالفسق بعد الوصف بانتفاء الإيمان:

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ بعد نفي إيمانهم بالجملة الشرطيّة وصفهم بالفسق، ولم يقل: (ولكن كثيراً منهم كافرون، أو لا يؤمنون)؛ لأنّه أراد أن ينبّه "بوضع الفسق موضع عدم الإيمان على أنّه الحامل عليه"⁽¹⁾؛ فعلة موالاتهم الكافرين وانتفاء الإيمان عنهم هو ما اتّصفوا به من صفة الفسق.

دلالة على أنّ
فسقهم هو
الحامل لهم
على موالاة
الكافرين

إيثار الوصف المشتق في التعبير عن الفسق:

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ عبّر عن فسقهم باسم الفاعل للدلالة على أنّهم "متمكّنون في خلق المروق من دوائر الطّاعات"⁽²⁾، فوصفهم بالوصف المشتق ليدلّ على تمكّن الفسق منهم، فلم يعبّر عنه بالفعل، فلم يقل: (ولكن كثيراً منهم يفسقون)؛ لأنّ الفعل يدلّ على الحدوث، وهو أراد بيان ثبات هذا الوصف لهم وتمكّنه منهم فأورده بالاسم.

وصفهم باسم
الفاعل للدلالة
على تمكّن
الوصف منهم
وثباته فيهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/268.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/268.



عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 9، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-61-3

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 9: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-61-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»